محمد رفقي عيسى

كلية التربية، جامعة الكويت

❖ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية (2)، بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، 1412هـ/1992م، ج3، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية التربوية، ص 279–330 [52 صفحة من القطع المتوسط].

❖ لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.

❖ مجال البحث (الكتاب): الشخصية الإسلامية – الدوافع والحاجات.

❑ ❑ ❑

ابتدأ الباحث بالمدخل السلوكي لمفهوم الدافعية واعتباره مفسراً لما يسبب الإستجابة عند الإنسان، واعتبارها –أي الدافعية– مشكلة سلوكية. إذ أن العلاقة بين المثير والإستجابه تفسر أسباب اندفاع الإنسان لاختيار سلوك معين دون غيره. ثم استعرض الباحث دراسة مفهوم الدافعية عبر مدراس علم النفس المعاصر المختلفة: إبتداءً بالسلوكية، فنظرية الغرائز لـ McDogall، فمدرسة التحليل النفسي، فنظرية أريكسون وعلاقة متطلبات النمو الإنساني بأنماط دافعتيه، فالنظريات الظاهراتية للدافعية للازوروس، ثم نظرية كيرت ليفين في الدافعية، ثم موراي ودافعية الحاجات ليدخل بعدها في البناء الهرمي للحاجات عند ماسلو.

وفي كل هذا العرض وهذه النظريات كان الباحث يركز على الطريقة التي يمكن بها أن يفسر السلوك الإنساني من خلال دوافعه وحاجاته.

ثم يتفرغ الباحث بعد ذلك لمناقشة مفهوم الحاجات والتنظيم الهرمي لها عند ماسلو ليقارن بين مفهومها أو مفاهيمها عند ماسلو من ناحية، والمفهوم الإسلامي لتلك الحاجات من ناحية ثانية.

ويمكن تلخيص نظرته المقارنة بالآتي:

1. إن أعلى الناس تكاملاً في الشخصية وأشدهم عزيمة هم الأنبياء والرسل، ولم يكونوا ممن أشبعوا حاجاتهم الفيزيولوجية أساساً ولا

حاجاتهم للأمن والحب والتقدير. إلا أنهم أدوا الرسالة المطلوبة منهم وبلغوها كما أمروا، وبالتالي فهم قد حققوا غايات رسالتهم رغم الإيذاء والإهانة والمقاطعة. . .الخ.

2. إن معيار تحقيق الحاجات عند ماسلو هو (الهوى)، ويضرب الباحث على ذلك أمثلة كثيرة من مقولات ماسلو، ويجد أن ما ذكره ماسلو لا يعدو كونه معياراً للتردي في النظرية الإسلامية.

3. وكما أن تحقيق الذات كمعيار للصحة النفسية يختلف في مفهومه عند الغرب عما هو في الإسلام. كذلك مفهوم الحاجة إلى «تقدير الذات Self esteem»، والتي هي أساس الدافعية في نموذج ماسلو، حيث -بسببها- ينزع الفرد لإبتغاء مرضاة الأفراد الآخرين، وبالتالي فهي ليست أكثر من (رياء) في المفهوم الإسلامي. فاكتساب تقدير الآخرين كدافع للجهد الإنساني يعتبر من الأمور غير المقبولة في الإطار الإسلامي.

4. أما حاجة الإنسان للأمن فيقرها الإسلام كمطلب دنيوي لها دور ثانوي إذا ما قورنت بحاجة الفرد المسلم للأمن في الآخرة.

5. أما حاجة الإنسان إلى الحب والإنتماء في النموذج الغربي الذي يقوم أساساً على المقبولية الاجتماعية والمنفعة المتبادلة، فإن النموذج الإسلامي يعتبره أمراً ثانوياً. لأن المقام الأول في هذا الباب هو حب الله والحب في الله واتباع منهج الله سبحانه وتعالى.

6. أما قاعدة هرم ماسلو للحاجات (وقد تدرج بها الباحث من أعلاها - تقدير الذات- إلى أدناها) فهي الحاجات الفيزيولوجية، والتي يرى ماسلو (والنموذج الغربي) ضرورة إشباعها أولاً قبل أن تنشأ حاجاتهم الأخرى. بينما يرى النموذج الإسلامي بأن معيار الشبع أو الإشباع ليس مقياساً للإكتفاء بل وربما يكون موازياً للإسراف. إضافة إلى أن التعاليم الإسلامية تحدد نوع الطعام وطيّب الطعام (حلاله وحرامه)، وكذلك الأمر في العلاقات الجنسية أو الإشباع الجنسي.

ويرى الباحث من وجهة نظر الصحة النفسية إسلامياً بأن الإنسان يجب أن

يخضع إشباع حاجاته إلى إرادته فيسيطر على دوافعها ويخضعها لمعايير قبولها والتوسط أو الإعتدال فيها. فأمراض الشراهة والنهم لا تقل خطورة عن أمراض الحرمان.

* ثم ينتقل الباحث أخيراً ليناقش إضافة ماسلو الأخيرة لسلم حاجاته وهي (الحاجة إلى الدين) حيث يرى الباحث أن مجرد إضافة الحاجة إلى الدين لمنظومة حاجات ماسلو لا يكفي إطلاقاً لإعطائه المنظور الإسلامي، وذلك للاختلاف في المفاهيم أولاً، وللتباين في المعايير التي تمثل البعد الأخلاقي للدافعية ثانياً، وللتغاير في تحديد مفردات النموذج وفي طبيعة العلاقة بين هذه المفردات رأسياً وأفقياً ثالثاً.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

الصحة النفسية، الدوافع والحاجات الإنسانية، البناء الهرمي للحاجات عند ماسلو، النظرة الإسلامية للحاجات والدوافع الإنسانية، تحقيق الذات، الحاجة إلى التقدير، الحاجة إلى الحب والإنتماء، الحاجة إلى الأمن، الحاجات الفيزيولوجية، الحاجة إلى الدين.

❑ ❑ ❑

ملاحظات :

- أبدع الباحث بدون شك في مقارنته بين المفهومين الإسلامي والغربي للحاجات وإن كان العنوان يتحدث عن الدوافع ولكن هناك تداخل كبير بينهما بالطبع.
- فيما يتعلق بالحاجة إلى الدين فإن الباحث رغم تبيانه للخلافات الرئيسة بين مفهومها عند الغرب والإسلام، إلا أن مفهوم (الدين) الذي طرحه ماسلو لا يعني مفهومنا (للدين) بل هو يختلف تماماً، لأنهم يقصدون المعتقد أياً كان شكله ونوعه ومصدره. وبمعنى آخر فإن المقارنة يجب أن تكون بين (المعتقد) في النموذج الغربي وليس (الدين). فالمعتقد

obeikandl.com

الشخصي هو غير الدين السماوي. ومن هنا فإن الكثير من علماء النفس المسلمين بدأوا يتكلمون عن ظهور مصطلح (الدين) ومعالجته في علم النفس المعاصر. إلا أن الحقيقة هو ظهور مصطلح (المعتقد) كمفهوم بالطبع وليس كمفردة مستخدمة Religion.

- كما أن مناقشة الباحث لحاجات (تقدير الآخرين له) لا تقابل (الرياء) دائماً، فالصدقات يمكن أن تعلن (فنعمّا هي) ويمكن أن تخفى ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 271] دون أن تدخل في الرياء. وكذلك تقدير الآخرين، فالإنسان بحاجة إليه مادام يقع في باب الألفة والتقدير والمحبة والإعتراف بالفضل. إلا أنه متى قصد طلب التقدير لغرض دنيوي أو مصلحة شخصية له دخل حينها في باب الرياء

❑ ❑ ❑

obeikandl.com